قصص من اللغة

الحمار والحبلى والغلام والملح...

الأستاذ عبد الحق فاضل

كثيرا ما قلنا ، استطرادا ، ان اللغة العربية قد اضاعت الكثير من مفرداتها . فهذا امر طبيعي ، لأن التطور اللغوي والتنقل البشري لا بد ان يؤديا في كل لغة الى اهمال بعض الالفاظ لحلول الفاظ أخرى محلها او لانتفاء الحاجة اليها في الظروف الجديدة . يضاف الى ذلك فيما يخص عربيتنا عزوف جامعيها المخلصين عن لغات الكثير من القبائل والمدن العربية لمخالطتها الأعاجم أو لمخالطتها من خالطوا الأعاجم . ولكم كانوا يأسروننا بجميلهم لو أنهم اهتموا بجرد لهجات كل القبائل والبلدان ثم نبهوا الى ما لا يعجبهم بقولهم انه ركيك أو مشبوه او مشكوك في نسبته أو ما شاءوا . اذن لكانت لدينا ثروة اضافية من اللغة اي ثروة . لكنهم لفرط حرصهم على سلامة هذه العربية وخوفهم ان يعم الخطأ نبذوا كل ما لم يتأكدوا من صوابه ، ولو انهم لم يتأكدوا من خطئه ايضا .

وانظر الآن الى ما يصنع الانثروبولوجيون ، اي البشرانيون (1) . يجدون عظمة من جمجمة آدمي اقدم قد انقرض منذ عشرات القرون ، أو شظية من ساقه أو فكه، فاذا هم يستنتجون ما يستنتجون بالخيال الخصيب ، ويتصورون المخلوق ويصورونه بتمام جثمانه وجميع اعضائه اعتمادا على موحيات تلك العظمة النخرة .

ومن غير انتقاد لهم أو تنديد بصنيعهم لأن هذا قصارى ما في وسعهم، نصرح اننا لا نبيح لنفسنا مثل ذلك في البحث اللغوي ، لأن المخلفات الباقية من اللغة اوفر بكثير من مخلفات الانسان الأقدم البائد . وانما شأننا عكس ذلك . اذا وجدنا هيكلا لمخلوق لغوي تام الأعضاء ينقصه جزء يسير أبحنا لنفسنا استنشاء (2) ذلك الجزء المفقود من مقايسة الادلة واستنطاق القرائن ، ولا سيما اذا عثرنا على ذلك الجزء المفقود في لغة اخرى .

قارئنا يتذكر مثالا على ذلك ، انها كلمة (آب) التي قلنا (في عدد فارط من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مغامرات لغوية ») انها كانت تعني الماء في في العربية ، وهي ما زالت كذلك في الفارسية . فقد وجدنا اسلاف هذه الكلمة واخلافها في العربية على نحو من المنطقية التطورية والوضوح حق لنا معه أن

---

(1) نقترح « البشرانيات » من البشراني اي المختص بالبشر ، بمعنى علم الانسان او علم البشر (anthropology) — على غرار « الأرضانيات » التي كنا اقترحناها بمعنى علم طبقات الأرض (geology) من الارضاني اي المختص بالأرض .

(2) « الاستنشاء » مصطلح آخر نقترحه مقابل (reconstruction) اي اعادة انشاء الهيكل أو الصورة استنساخا او تخيلا . وهي كلمة تفتقر اليها العربية لكثرة ورودها في الآثاريات والمعماريات وغيرها .

نفترض انها كانت موجودة فى العربية بذلك المعنى ، حتى لو لم تكن قد بقيت فى الفارسية . لكننا على كل حال نحصر مثل هذه الاستنتاجات والافتراضات فى اضيق نطاق ممكن ونقصر اعتمادنا فى البحث اللغوي على اوضح القرائن واقواها تنزيها لهذا العلم ـ الترسيس ـ من التخبط والفوضى . وكم تحاشينا الاستشهاد بامثلة وقرائن لغوية لافتقارها الى البرهان الناصع المقنع علميا ، بالرغم من اقتناعنا الوجداني شخصيا بصوابها .

سنتناول هنا كلمة رسية بديئة فى العربية تفرعت منها كلمات اصبحت حلقات متسلسلة متشابكة مثل نسيج الدرع ، لكننا نفتقد الحلقة الثانية منها فى العربية ونجدها فى الفارسية كذلك وهي (لب ـ lab) : شفة . ونكاد نجزم أنها كانت موجودة فى العربية ثم ضاعت وحلت محلها الشفة والشفر والمشفر والشفير والشفا والحافة والضفة .. فكل هذه الالفاظ تقوم مقامها كلمة (لب) فى الفارسية .

اما الكلمة العربية الرسية التى نحن بصددها فهي (**اللب**) زنة الدب ، التي نشأت من محاكاة صوت التهام (لب) البندقة أو اللوزة من قشرته بارتشاف الهواء بشدة وتلقي اللب باللسان والشفتين ، وهو صوت لا تستطيع ان تصوره بأحسن من (لب lup) ! فمن هنا سمي (**اللب**) فى العربية . ويبدو ان اللوزة بالذات هي الأصل فما زال المعجم جزاه الله خيرا يتذكرها بقوله ان المرء (لب اللوزة : كسرها واستخرج لبها) . بل ان اسم (**اللوز**) متطور من اللب فيما يبدو. ولأن اللب هو الجوهر المبتغى من أمثال هذه الثمار القشرية اطلقوا اسمه على العقل ايضا باعتباره لب الانسان وما عداه فقشور . ومن (اللب) بالضم ، صاغوا (**اللب**) بالفتح ، بمعنى الشفة بسبب الدور الذي تقوم به الشفة فى التهام اللب من داخل قشرة اللوزة . وهي الكلمة المفقودة فى العربية والباقية فى الفارسية كالذي المعنا اليه . ولدينا دليل لعل قارئنا (اللبيب) يوافقنا عليه هو كلمة (**لبيك**) التي تعني الاستجابة مع التكرمة ـ لنداء او دعاء . وواضح ان هذه الصيغة ليست الا تثنية لصيغة (لب) ولو ان اللغويين لم يفطنوا الى اصل معناها . واصل معناها هو اظهار المتكلم طاعته لأمر حاكم او سيد او عزيز ، وكأنه يريد ان يقول : سأصدع بأمرك ، او امنيتك حالما تخرج من لبيك ، اي شفتيك . وفى الموصل ينطقون لبيك بحذف الكاف (**لبي**) ، بمعناها . ومنها فى الفصحى فعل : **لبى** يلبي تلبية .

ومنها (**بلى**) بفتحين : حرف تصديق ، ويجيء غالبا جوابا لاستفهام . وينطقونها فى الدارجة العراقية بكسر اللام (بلى) بمعنى نعم ، البسيطة . و (**اللبلبي**) بالعراقية : الحمص المسلوق يلتهمه الصبيان واحدة واحدة على الأغلب . ويقولون فى العراق كذلك عن طبيخ الرز ونحوه من النواشف اذا كثر ماؤه فتعجن او الحساء اذا قل ماؤه فتكتف انه صار (**لبه** ـ lappah) ولا ندري هل هي مقتبسة من الفارسية أم منحدرة من لهجة عربية قدمى .

فهذا الذي مر بنا يقنعنا علميا بعروبة أثل (لب) وهي لم تتسرب الى الفارسية فقط بنفس صورتها العربية بل الى لغات اوربية اخرى بمعنى الشفة ايضا ، فى الانكليزية مثلا بصيغة lip) وفى الفرنسية بصورة (lèvre) ، وفى كلتيهما labial) : شفهي . وانما بقيت (لب) على حالها فى الفارسية لقربها من المعربة بينما تطورت وتحورت قليلا او كثيرا فى الآريات الأخرى بسبب بعد الشقة وتفاعلات الهجرات والظروف .

ونظنهم اطلقوا (لب) ـ بالضم ـ على حالات اخرى من الالتهام وتناول الطعام . ثم استعملوه بمعنى الرضاع عند ملاحظتهم التقام الوليد ثدي أمه بشفتيه بعد الولادة توا ، دون سابق تعلم . ادهشهم ذلك كما لا يزال يدهشنا ، واحسبهم حكوا التهامه الثدي مبالغين فى التقليد بقولهم (لب ـ lup) !

ثم نشأت من الصيغة المفتوحة او المضمومة كلمة (اللبأ) ـ بالكسر ، زنة العنب ـ بمعنى الحليب اللزج الصمغي الذي يدره ثدي الأم بعد الولادة فيرضعه الوليد أول شيء . وهذا يؤيد قولنا ان الكلمة صيغت من استغرابهم تلقائية الرضاع الأول . وما زال اثر تلك الدهشة باقيا فى معجمهم حيث يقول : (**البا**) الجدي : رضع من تلقاء نفسه) !

وقالوا (لبأت) الأم ولدها ، بمعنى ارضعته اللبأ . ومن ذلك صاغوا اللباة ، **واللباءة ، واللبواة واللبوة ، واللبوة** (بكسر اللام) ، **واللبة** (زنة الشفة) ، **واللباة** (زنة الحماة ، رعاها الله من لباة) ، **واللب** (زنة اليد ، اي بتخفيف الباء) ـ بمعنى انثى الأسد ، لأنها ترضع صغارها ، خلاف زوجها الذكر . والظاهر انهم اطلقوا هذه الأسماء ، او بعضها ، او اكثر منها ، على اناث كل الحيوان ، كما نقول اليوم (الحيوانات

اللبونه) ، ثم تخصصت بانثى الاسد . وصيغة (اللبونة) من اللبن تشبه صيغة (اللبواة) من اللبأ . يؤيد ذلك ان **(lupa)** تعني باللاتينية ومن ثم بالايطالية : ذئبة . والحاقا بها سموا مذكرها الذئب : **L. (lupus)** و **It. (lupo)** . كذلك الامر في الفرنسية **(loupe)** : ذئبة و **(loup)** ذئب . وربما كان منها في الانكليزية) **(wolf)**: ذئب .

وكما شمل اسم الذئبة اسم الذئب الذكر في بعض اللغات كالذي رأينا ، يلوح لنا ان اسم اللبوة ايضا قد شمل الأسد ، الذي صار يدعى **(leo)** و **(lion)** . ولعل ذلك قد تم في المعربة فان هاتين الصيغتين تشبهان صيغة (ليث) التي تعني الأسد ايضا .

ومن اللبأ او اللب ـ بالفتح ـ صيغ (**اللبن**) الذي كانوا يعنون به الحليب كما لا يزالون في مصر ، لكن معناه في سائر لهجات الشرق الأوسط هو الحليب الرائب ، وفي المغربية : الحليب المخيض اي المأخوذة زبدته .

ومن ذلك صيغ (اللبان) ـ زنة اللسان ـ بمعنى الرضاع ، و (اللبان) ـ زنة الفؤاد ـ صمغ شجرة معينة ، تشبيها له بلبن الأنثى ، ثم صار يطلق على الصمغ الذى يعلك والمعروف بالمصطكى . واللبان بالمصرية يعني العلك عامة اصمغا كان أم شيئا آخر . و (لبن الشجرة) أية كانت هو في المعجم ماؤها على كل حال . والمعقول ان يكون قد اطلق اولا على نسغ نوع من الشجر يسيل ماؤه ابيض كاللبن مثل شجرة التين ، ثم عم فشمل كل الأشجار . ثم صار (**اللبان**) ـ زنة الحنان ـ يعني موضع ما بين النهدين ، ثم الصدر عموما، للانسان والحيوان. ووجود ثديي انثى الانسان في صدرها يدل على ان هذه التسميات المختلفة اطلقت أولا على الانسان ثم انتقلت الى الحيوان ، اي ان الرضاع التلقائي ادهشهم من الولد الانسان قبل الولد العنز ، ولا سيما أن الماعز لم يستأنس الا بعد آماد . اي انهم طفقوا طوال تلك الآماد يقولون (لبأ) الوليد البشري بمعنى رضع من تلقاء نفسه الى أن عرفوا الجدي فنقلوها اليه . ولا بد انهم كانوا يستعملون لمعنى (الرضاع) بوجه عام صيغة أخرى .

ومن اللبن جاءت تسمية جبل (**لبنان**) لان الثلج لا يبرح بعض قممه فتبدو حتى في الصيف بيضاء ، كاللبن ، وهو ما يعترف به المعجم . وقد سماه الاغريق والرومان **(Levant)** ، مما يدل على انه كان يسمى (لبان) او شيئا من هذا القبيل زمانئذ ، وخاصة انه يدعى بالفرنسية (لبان **Liban**) . ثم صارت **(levant)** تعني الشرق ايضا ، وهى ما زالت كذلك في اللغات الأوربية الحديثة ، لأن لبنان يقع شرقي أوربا .

والآن وقد اتضحت علاقة الكلمة بالرضاع والصدر نعود الى (اللب) ـ بالفتح ـ فنقول انهم اشتقوا منها ايضا بعض المعاني الصدرية . **فاللبة** (زنة الحبة) واللبب (زنة الحبب) يعنيان موضع القلادة من الصدر. وقالوا (أم **لبة**) : محبة عاطفة ، اي مثل الأم المرضع الرؤوم ، ثم استعير المعنى للرجل فقيل (هو **لب** على الأمر) : ملازم له ، تشبيها بملازمة الأم المرضع وليدها .

ومن اللبب صيغ (**التلبيب**) وهو ما في موضع اللبب من الثياب ويعرف بالطوق على تعبير المعجم ـ وهو حاشية فتحة الصدر من التوب . ونحن بحاجة الى هذه الكلمة عصريا في دنيا الملابس التي نحار في تسميتها . ومن ذلك قيل (لببت الرجل) : أخذت بتلبيبه ، والاستعمال الشائع حديثا : أخذت بتلابيبه ، بصيغة الجمع .

أما (اللور) ـ بالراء المهملة ، زنة البوق ـ التي تعني اللبن المتوسط الصلابة بين الجبن واللبأ ، فنموذج آخر من تشعب الصيغ وتفرع المعاني . وهي كلمة أخرى نحتاج اليها في دنيا المآكل .

على ان الميدان الأوسع لنشاط هذه الكلمة ـ لب ـ انفسح حين صدروها بالحاء فصارت **(حلب)** اي لبن وزنا ومعنى . وفعل (الحلب) **أي** استخراج اللبن من الضرع نشأ منه (الحليب) اي اللبن المحلوب.

من الطعوم تكتشف اثنين من منتجات الحليب : الحلو والملح . أما (**الحلو**) فنظنهم قالوا أولا (حلا يحلو) من قولهم (حلب يحلب) بمعنى طاب وساغ مذاقا ، كالحليب . ولما كان الطعم السكري المعروف أطيب الطعوم ولذها خصوصا عند الصغار فقد صارت (**الحلاوة**) تطلق على هذا الطعم خاصة وعلى كل مستملح او جميل عامة . ومنها بالدارجة صيغة (**حلبوة**) . وأما (**الملح**) ـ آخر أبطال عنوان قصتنا اللغوية هذه ـ فقد جاءته تسميته من لونه ، لان (**المملحة**) اي منجم الملح ، تبدو في البرية من بعيد ناصعة البياض كأنها بقعة من الحليب .

ولا نشك في ان (ملح) كانت تعني (حلب) في وقت من الأوقات ثم اختصت (بالملح) ـ المادة المعروفة المستعملة في تطييب الطعام ، لأن (ملح) هذه نشأت منها افعال : ملع وملق وملج ، التي تعني الرضاع ، وسنتحدث عنها بعد . ومن هذا الطيب الذي يحدثه الملح في الطعام قالوا ان الفتاة (**مليحة**) اي حسناء ، او بالحري (جذابة) بالتعبير الحديث ، لأن (**الملاحة**) غير الجمال . ومن ذلك قول مصعب بن الزبير عن زوجتيه حين احتكمتا اليه : « عائشة اجمل وسكينة أملح». فقالت سكينة : «لقد قضى لي والله»!

و (المليح) بلغة الموصل يعني الجيد من كل شي . اما في سورية فقل من ينطقه كذلك فالأكثرون ينطقونه بالنون (**منيح**) ـ مع تسكين اوله . وفي الموصل ـ ايضا ـ يقولون عن الشخص انه (**يتملح**) بمعنى يتظرف ويماحك .

ومن الملح كذلك صيغت (**الملحة**) ـ زنة الغرفة ـ وهي النادرة من الكلام يتفكه بها .

وبعضهم قلبوا الملح فنطقوه (**المحل**) ـ زنة الوحل ـ وتخصصت هذه الصيغة فيما بعد بمعنى الأرض القاحلة ، لان الأرض الرسوبية التي انحسر عنها البحر تكون ملحية تظهر آثار ملوحتها على وجهها. والأراضي السبخة من هذا النوع لا تصلح للزراعة دون غسلها من الملح ، وقلما ينبت فيها زهر او عشب ، فهي من ثم (**ممحلة**) اي (مملحة) . ثم عم استعمال (المحل) فشمل كل ارض قاحلة .

وربما كان من هذه المادة (الوحل) و (القحل) ايضا . اما (**الوحل**) فان الأرض الرسوبية رخوة تغدو (**موحلة**) تغوص فيها الأقدام غب المطر ، لانها متكونة من تراكم الطمي في الماء الملح ، خلاف الأرض الكلسية الصلبة . واما (**القحل**) فقريب المعنى من (المحل) . وفي الموصل ـ التي لا ادري لماذا كثر ترداد الاستشهاد بلفتها في هذا الحديث ـ يقال عن اللون انه قد (**قحل**) ـ بتشديد الحاء ـ اذا حال وتغير الى ما يشبه لون الأرض السبخة التي تظهر فيها آثار الملح . فهذا يؤيد العلاقة بين (القحل) و (المحل) و (الملح) . ومن هذا المعنى ايضا (**الأملج**) بالجيم المنقوطة : القفر لا نبات فيه . وهذا واحد آخر من الأدلة على تعدد الصيغ مع اختلاط المعاني ، وسنعود كما وعدنا الى بيان علاقة (الملح) بالرضاع والحليب .

ومن الملح نشأ (اللمح) اي البريق ، استعارة من شدة بياض المملحة في الفلاة . ونطقها بعضهم بالعين فنشأ (**اللمع**) فقالوا لمح البرق ولمع ، بمعنى. ومن اللمح صيغت (**اللمحة**) وهي النظرة السريعة كأنما شبهوها بومضة البرق ، وبقي في المعجم من ذلك قوله : لمحت الشيء ، او الى الشيء : ابصرته بنظر خفيف .

وما زالت بعض صيغ اللمع وثيقة الصلة بالحليب وما يتفرع منه من معان ، مثل (**لمع** ضرع الناقة) : تلون عند نزول الدرة فيه ، و (**المعت** الفرس ونحوها): اشرق ضرعها واسودت حلمتاه ، و (**المعت** الانثى) : تحرك الولد في بطنها .

ولا بد من تذكير القارىء بأنه لم تكن هناك لجنة لغوية تولد الألفاظ وتصنف المباني وتوزع المعاني ، او أن هناك احدا او قبيلا فعل ذلك عن عمد وحسن اختيار . وانما هي اختلاطات تعبيرية منشؤها ظهور صيغ جديدة بسبب الخطأ في النطق ومعان جديدة بسبب الخطأ في الفهم . وتصبح الصيغ الجديدة اول امرها مرادفات للصيغ القديمة التي منها نشأت، ثم يتخصص بعضها بمعان اخرى قريبة من المعاني الأصلية او بعيدة عنها بسبب مشابهات أو ملابسات قد تكون وجيهة معقولة وقد تكون واهية وقد تكون مضحكة . والتعمد الوحيد في الأمر هو استعارة بعض المعاني على المجاز او التشبيه ثم يغدو المجاز حقيقة والتشبيه أصلا .

اما الصيغ الثلاث (ملع وملق وملج) التي قلنا انها نشأت من (ملح) ومعناها الرضاع ، فالظاهر انها كانت تعني الحليب كذلك بدليل الانكليزية **(milk:** حليب) . وهي أشبه بصيغة (ملق) . ولعل (ملك) ايضا كانت تعني الحليب في العربية ذات زمان . وقد بقي من آثارها (تلمك البعير) : لوى لحييه وتلمظ ، و (**اللماك**) ـ زنة السحاب : الشيء مما يذاق .

وكانت هذه الصيغ (ملع ، ملق ، ملج) مترادفة المعنى اول الأمر تعني عموم الرضاع ثم تخصصت كل واحدة منها بنوع منه ، فصارت (**ملج** الصبي ثدي امه) تعني على قول المعجم : تناول ثديها بأدنى فمه فرضعها، و (**أملجته** امه) : ارضعته ، و (**امتلج** ما في الثدي) : امتصه ، و (**المليج**) : الرضيع . اما (**الملق**) فيعني عموم الرضاع لولد الانسان ، واما (**الملع**) فاختص بولد الناقة حيث قالوا (**ملع** الفصيل امه) : رضعها .

لكننا لا نعتمد على دقة هذه التقسيمات التى نقلها اللغويون عمن عرفوا من القبائل فالأغلب أن قبائل اخرى كانت تعمم من هذا بعض الخاص وتخصص بعض العام ، على نحو آخر .

ومن (الملق) نشأت صيغ (**لقم**) و (**التقم**) و (**لقمة**) .. ومن ثم (**لقن**) و (**تلقين**) و (**لقانة**).. و (**لهم**) و (**التهم**) و (**ألهم**) و (**الهام**) ..

وهذه الألفاظ الرضاعية الثلاث (ملج ، ملق ، ملع) قلبوها وابدلوا حروفها كرة اخرى فنشأت منها صيغ مثل : (**لمظ**) و (**تلمظ**) . أما (**اظماظة**) ـ بضم اللام ـ فهي بقية الطعام فى الفم . وقلبوا (ملج) فقالوا (**لمجت** الشيء) : اكلته بأطراف الفم (اي مثل ملج الصبي ثدي امه) . و (**اللمجة**) ـ زنة المضغة ـ ما يتعلل به قبل الطعام ، وهي كلمة جاهزة تصلح ان نطلقها على (الأوردوفر hors-d'œuvre) الذي اختلف وتحير اللغويون فى تسميته .

ثم ان الاعارب قلبوا (لمج) ايضا فنطقوها (**لجم**) **ومنها صاغوا (لجام) الحصان . ويقولون ـ اللغويون ـ ان اللجام مقتبس من الفارسية (لكام ـ lagam) وها انتم ترون ان العكس الصحيح .**

وقبل ان نتجاوز (ملق) التي نشأت منها (لقم) ونودعها الى غير رجعة ، نقول انهم تناولوا (لقم) هذه وصنعوا لها راسا فصارت (**حلقم**) ومنها (**الحلقوم**) ، ثم قطموا لها ذيلها فصارت (**الحلق**) ومنه صاغوا (**الحلقة**) . ولما كانوا فى الجاهلية ، وما يزال بعض القرويين ، يتركون دائرة من الشعر فى وسط راس الصبي حين يزيلون شعره ، صاروا يقولون (**حلقت** الصبي) ـ بتشديد لام حلقت ـ بمعنى صنعت له (حلقة) من الشعر فى راسه . ثم صار (**التحليق**) يعني ازالة الشعر بوجه عام ، ثم خففوا فعل (**حلق** تحليقا) فنطقوه (حلق حلقا) ايضا . ويلوح أن الصيغة المشددة كانت اشيع على العهد الجاهلي .

لكن كيف صار (**التحليق**) يعني الارتفاع ؟ يقول المعجم ان ذلك ناشيء من طيران الحمام على شكل دائرة فى الفضاء ، فشبهوه بتحليق الشعر فى راس الصبي . لهذا كان قولك (**حلق** الطائر) يعني انه جعل يدور فى طيرانه . لكننا نرجح أن تحليق الطائر جاء من معنى (الحلقة) عامة لا من حلقة راس الصبي خاصة.

ثم صار التحليق يعني الامعان فى الارتفاع . فاين تحليق الطائرة اليوم فى اجواز الفضاء من التقام الرضيع ثدي امه ، فى الغاب ؟ ما أعجبها صلة . وامثالها كثير .

نعود الآن الى الحليب .

قالوا (**تحلب العرق**) : تفصد ، و (تحلب فمه): در لعابه. و (**الحالبان**) : القناتان اللتان يتحلب فيهما افراز الكليتين نازلا الى المثانة .

ومن الحليب ايضا صيغ (**الاحليل**) : مجرى اللبن فى الثدي ، والأغلب انهم كانوا ينطقونه (**الاحليب**) اول الامر ، ثم اتبعوا الباء باللام ، على غرار صنيعهم باسم (قايين) مثلا نطقوه (قابيل) اتباعا له باسم هابيل . وعلى المجاز اطلقوا (الاحليل) على آلة الرجل باعتبارها مجرى ما يشبه اللبن من النطفة .

وواضح انهم قالوا (حلم يحلم) بمعنى (حلب يحلب) ومن هنا صيغت (**حلمة**) الثدي . وعندها قالوا (**حلم**) الصبي و (**احتلم**) بمعنى انه بلغ ما نسميه سن الرشد ، وكأنهم قصدوا ان يقولوا انه (حلب) او احتلب) لانه يرى اول رؤيا جنسية ينزل فيها ماؤه الحليبي . ومن ثم صار (**الحلم**) ـ زنة الشكر ـ مرادفا للرؤيا بوجه عام من جهة ، و (**الحلم**) ـ زنة الرئم ـ يعني العقل والحصافة اي ضد الطيش والسفه من جهة اخرى ، باعتبار الصبي قد بلغ مبلغ الرجال ونفض عنه جه هالة الطفولة ، وصار (الحلم) من جهة ثالثة مرادفا للاناة ورحابة الصدر لأن الحصيف العاقل هو الذي (**يحلم**) عن السفهاء ، فهو (حليم) . وهذا هو المعنى الشائع اليوم للحلم والحليم ، فقد ندر من يستعملهما فى غير الشعر بمعنى العقل والعاقل .

اما (الاحتلام) فنطقه بعضهم (**الاغتلام**) فشاعت هذه الصيغة ثم اختصت بمعنى هياج الشهوة . ومنها اشتقوا (الغلام) الذي هو اصل الاحتلام وممثل شدة الشهوة معا ـ وهو البطل الثالث لعنوان قصتنا هذه . ثم صار (الغلام) يعني الخادم والعبد ، وعمموا التسمية على الانثى فسموها (**غلامة**) . ومن الغلام صيغت (الغلمة) : الشبق . ومن ثم سموا ذكر السلاحف (الغيلم) كناية عن شبقه .

وقالوا (حبلت) المراة بمعنى حملت جنينا فى رحمها . ذلك بأن الحليب يتكون فى ثدي (الحبلى) . فصار قولهم (حلبت)

المراة يعني انها (حبلت) ، والمصدر هو (الحبل) ـ زنة الامل . و (**الحبلى**) **هي** الثانية من ابطال عنوان قصة (لب) .

وبعضهم نطق (حبلت) المراة بالميم وتغيير الحركة فقال (**حملت**) ومن ثم سميت الحبلى (**الحامل**) ايضا . وعندما ولدت جنينها قالو وضعت (**حملها**) . وسمي الوليد (**الحمل**) ـ زنة الامل ايضا ـ ثم اختصت هذه الصيغة بولد الشاة ، وبقي (**الحمل**) ـ زنة الحول ـ يعني الجنين ما دام في بطن امه . وعلى التشبيه سموا ثمرة الشجرة (حملها) ما دامت عليها . ثم صار (**الحمل**) ـ زنة القرد ـ يعني الثقل الذي (**يحمله**) الانسان ايا كان نوعه . فعندئذ ظهر (**الحمال**) اول شخوص قصتنا هذه اللغوية الغرامية الاحيائية مع ابعادها الاجتماعية والاقتصادية . ظهر (الحمال) من (الحبلى) . وشتان بين حمل هذه في بطنها وحمل هذا على ظهره

ويلوح ان الصيغتين البائية والميمية ـ الحبل والحمل ـ قد تعايشتا عهدا طويلا كما هي العادة الغالبة عند ظهور صيغ جديدة محرفة عن صيغ سابقة وعلى هذا نرجح ان الحمال كان يدعى (**الحبال**) ايضا اول الامر ، فلا بد ان يكون (الحبل) ـ زنة الحمد ـ قد اخذ معناه من (الحبال) ـ زنة الحلاق ـ لا من (الحبلى) ، لانه هو الذي يربط حمله على ظهره (بالحبل) . ومن تعايش الصيغتين البائية والميمية اشتقوا (**الملاح**) من الحمال ، بمعنى الحبال ـ زنة الحلاق . نقول هذا لان العلاقة الوحيدة بين الحمال والملاح هي (الحبل) يستعمله الاول لربط حمله على عاتقه والثاني لسحب السفينة مع رفاقه عند مسيرها قرب الشاطيء ضد التيار او الريح . من بقايا ذلك سوق بالموصل ـ ايضا ـ تدعى (**سوق الملاحين**) كان لها شأن ايام القوارب والسفن النهرية ـ تباع فيها الحبال ، وهم يسمونها (**سوق الحبالين**) كذلك ، مما يدل على ان الملاح كان يسمى (حبالا) ، فلو كان القصد من التسمية الثانية للسوق هو الحبال ـ زنة الجبال ـ لدعوها سوق (الحبال) بدل سوق (الحبالين) . ولا نعلم ان كانت هناك في دارجات عربيات اخريات كلمة ما تزال توحي بالصلة بين الملاح والحبال .

من بعض هذه الالفاظ التي تقدم ذكرها نشأت الفاظ كثيرة اخرى ذات معان اخرى تبتعد شيئا فشيئا عن معانيها الاصلية بحيث لا يمكن التعرف عليها الا بالمعاني والمباني المتصاقبة بقودنا بعضها الى بعض . والمعجم زاخر بها .

فهذي باختصار هي قصة **الحمال والحبلى والملاح والحليب والملح وملاحة الغيد الحسان وملاحة** البحار ثم الهواء ثم الفضاء **ولبنان والفيلم والالمعية والوحل والحلوى وسوق الحبالين والتلمظ والتملق واللبوة والالهام وحلمة النهد .. وخاتم لبيك ...**

فمن كان يتصور ان كل هذه الالفاظ وكثيرا غيرها من التفرعات التي تكمل اللغة وتزيد ثروتها .. ترجع الى ام واحدة صغيرة هي : (لب) ؟

لم يصادف أحد ، غير السندباد البحري في مغامراته السبع ، امثال هذه الغرائب والمفارقات التي صادفتنا في رحلتنا هذه الصغيرة في اقطار المعجم العربي .